بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شهرية بعنوان:

أسرانا

وصمة عار في جباهنا

كتبه

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا الله عنه

شهر شوال من عام ١٤٤٢ هـ

لقد عاد العيد ... ليلقي على قلب الأسير أنواع الهموم ويبتلي ... يعود ومعه تعود الذكرى ولها سلطان على الفكرة التي تسرح في القريب والبعيد وبأيامهم الخوالي تختلي ... ثم تعود بعد ذلك بخفي حنين ويستيقظ على صورة الحديد الذي بناره يصطلي ... أيام وشهور وسنين تطول وتطوى وتنقضي ... قد ضاق عليه القيد ولا يدري إلى أين يسير ويمضي ويقتفي ... شباب تشيب من الهموم وتنتهي ... قلوب تذوب من كمد القهر وتكتوي ... عيون تنام على الذكرى وتفيض من العبرات وترتوي.

نعم فحاله كما قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجُرِيُّ[1] رَأَيْتُ مُنْذ سِنِينَ كَثِيرَةٍ مَعَ عَجُوزٍ جَوْرَبَيْنِ أَبْيَضَيْنِ، أَخْبَرَتْنِي أَنَّ شَابًّا مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ مَحْبُوسٌ فِي الْمُطْبَقُ مَظْلُومٌ، وَأَنَّهُ نَسَجَ عَلَى خَصْرَيْهِمَا بَيْتَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ فِي الْغُرَبَاءِ عَلَى الْأَوَّلِ:

غَرِيبٌ يُقَاسِي الْهَمَّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ ... فَيَا رَبِّ قَرِّبْ دَارَ كُلِّ غَرِيبٍ

وَعَلَى الثَّانِي:

وَأَنَا الْغَرِيبُ فَلَا أُلَامُ عَلَى الْبُكَا ... إِنَّ الْبُكَا حَسَنٌ بِكُلِّ غَرِيبٍ

يعود العيد ... والمسلمون في شتات وضعف وهوان لم يسبقوا إليه ... ليس منهم من يضيء السراج ليسير خلفه المستنير ويقتفي على أثره التائه المحتار ... حالٌ يفرح الأعداء ويقض مضاجع الصادقين والأبرار ... أين الذين يحملون همَّ أمة ذلت بين جموع الكفار ... أين الذين يفكون العاني وينصفون المظلوم أو حتى يصرخون جهاراً بدينهم في ظلام الديار ... إني لا أراهم بين جموع المشركين لا أسمع صوتهم بين سواد الكفار.

---

[1] الغرباء للآجري ٢٧/١

إن المؤمن بمبدأ وقضية ومنهج حياة لا يمكنه البتة أن يعيش بهذا المبدأ عاملا بمقتضاه تحت ظل نظامٍ حاكم وسلطان قائمٍ قد أُسس على مبادئ وغايات تُناقض هذا المبدأ بالكلية وتدفع وجوده وتعمل على إفنائه حال وجوده بكل قوتها ... إن هذه القناعة تُحتِّم عليه استفراغ الجهد في إيجاد الحلول الشرعية لإقامة الكيان الذي يتيح له الحياة وفق المنهج المستمد من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، إنه على يقين أنه لن يستطيع أن يزاول إسلامه إلا في صورة الجماعة المسلمة التي يُهيمن عليها كتاب الله، ولن يملك ذلك وهو فرد ضائع ورقم تائه في هذه المجتمعات الجاهلية ... إنه ذات اليقين الذي يدفعه إلى الحركة لبناء صرح الجماعة المسلمة الذي تتحقق فيها تلك الحياة ويقوم عليها الدين وتحصل بها المفاصلة للجاهلية واجتناب الطاغوت والنجاة في الدنيا والآخرة ... إنها خطوة ثقيلة في مرحلة حرجة جداً من تاريخ هذه الأمة حيث أن الطليعة الحاملة لهذه العقيدة بين أسير وطريد وشريد بعد أفول الجماعات القتالية التي قتلت الآمال المعلَّقة بها من طرف الغافلين الذين كانوا ينتظرون منها إيجاد الكيان الذي يأوي إليه هؤلاء ، **ولكنها كانت تسير في طريقٍ مَتاهة مسدود فَجَرَت عليها السُّنن كما بينا في كتاب سراج الظلام.**

نعم إن الحركة لا مناص منها ولا يسعنا الوقوف على حافة الطريق كهيئة المتفرج أو المستسلم لواقع لا يمكن مُدافعَتُه فهذا إذنٌ بفساد الأرض كما قال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[البقرة ٢٥١] ، وإن المسلم لا يستطيع أن يعيش في مثل هذا الواقع بدون حركة وهو يرى أصحاب الدعوات الباطلة على اختلاف مشاربها النتنة يبذلون لدعواهم المتهافتة كل غالي ونفيس ويقدمون لها القربان والدماء ويقضون في سبيلها الأعمار الطويلة في السجون ولا ينحنون لخصومهم ولا يرجعون عن مبادئ باطلة بل يُكْملون المسير إلى أخر الأنفاس، قال عمرو بن عثمان المكي:" لقد وبَّخ الله التاركين للصبر عن دينهم بما أخبرنا عن الكفار ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ

﴿هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[ص٦]. فهذا توبيخ لمن ترك الصبر على دينه"[٢] ... إنه لا مُدرَّجات للمتفرجين فالتيَّار المعاكس جارف بسيله النجس العرم من لا يُدافع ويُناجز بقوة تقاوم حركة التيَّار، فلا مناص من بذل الجهد لضمان البقاء وإلا الانزلاق الذي يعقبه الانصهار في هذه المجتمعات ... إنه الخسران المبين والتيه الطويل الذي قد لا يُرجى معه العودة للجادة والصواب ... إنه الضلال البعيد.

إنه لا مكان في هذه الطريق إلا لأصحاب الحركة بل إذا رأيت رجُلاً لا يسعى وراء غايته ولا يعيش لتحصيل مبدأه فاعلم أنه كاذب في نسبته، وأنها دعوى مُجرَّدة عن الحقائق ولمَّا يدخل الإيمان في قلبه، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات ١٤]، مع قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[التوبة ١٢٠]، وفي الآيتين دلالة على أن المتخلفين عن الجهاد من الأعراب أصحاب دعاوى كاذبة في قولهم آمنا.

لذلك نقول أنَّه يجب على المسلم أن يعلم أنَّ الميزان الذي توزن به الدعوات هو سداد العقيدة وقوام الحركة لإقامة الدين في الأرض، فإذا رأيت دعوة قائمة على التأصيل للتعايش في هذه المجتمعات الجاهلية ـ وبالخصوص في مسائل الحكم والطاعة ـ دون سعي وراء التغيير الصحيح فاعلم أنها دعوات باطلة ... لذلك لمَّا نذكر الأسارى لابد أن نسأل أنفسنا ماذا علينا من واجبات شرعية أمام هؤلاء بعد الدعاء، هل خطونا خطوات في طريق نصرتهم أم زدنا الطريق عقبات في سبيل استنقاذهم؟ سؤال لابد أن يقف أمامه المسلم ليجيب عليه بصدق، ويعلم أن الأمر عظيم كما قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «لَأَنْ

---

[٢] صفة الصفوة ٥٣١/١

أَسْـتَنْقِذَ رَجُـلًا مِـنَ، الْمُسْـلِمِينَ مِـنْ أَيْـدِي الْمُشْـرِكِينَ، أَحَـبُّ إِلَـيَّ مِـنْ جَزِيـرَةِ الْعَرَبِ»[٣].

كـم يسـتغيث بنـا المستضـعفون وهـم — قتلـى وأسـرى فمـا يهتـز إنسـانُ
مـاذا التقـاطُع فـي الإسـلام بيـنكمُ — وأنـتمْ يـا عبـادَ اللـه إخـوانُ
ألا نفـوسٌ أبيَّـاتٌ لهـا هِمَـمٌ — أمـا علـى الخيـرِ أنصـارٌ وأعـوانُ
يـا ربَّ أمٍّ وطفـلٍ حيـلَ بينهمـا — كمـا تُفَـرَّقُ أرواحٌ وأبـدانُ
وطفلـةٍ مثـل حسـنِ الشـمسِ إذ طلعـت — كأنمـا هـي يـاقوتٌ ومرجـانُ
يقودُهـا العلـجُ للمكـروه مكرهـةً — والعـينُ باكيـةٌ والقلـبُ حيـرانُ
لمثـل هـذا يـذوب القلـبُ مـن كَمَـدٍ — إن كـان فـي القلـبِ إسـلامٌ وإيمـانُ

[٣] الأموال لابن زنجويه برقم ٥١٥